شعر الحماسة عند المتنبّي

عن مجلة الأقلام بغداد 1978

أبو الطيّب المتنبّي

(300 هـ– 354 هـ / 915 م – 965 م)

اسمه

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجُعَفي الكوفي.

مولده

ولد سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة في محلّة كنْدَة بالكوفة.

نسبه

نشأ شاعرنا نشأة يكتنفها بعضُ الغموض إذ نبزته طائفة من خصومه بأبيه الذي كان يبيع الماء بالكوفة (سقّاء) بينما ذهب باحثون من المعاصرين خاصّة إلى افتراضات عدّة بعضها يعتبر أبا الطيّب ابنا مكتوم النسب لبعض الأشراف العلويّين.

أهمّ أطوار حياته

يُجمع الدّارسون على أن الصبيّ أحمد قد ربّته جدّتُه لأمّه وأنّه تردّد على كتّاب يؤمُّه أولاد أشراف الكوفة وأنّ مخايلَ النّجابة قد لاحت عليه مبكّرا، ويتّفق المعاصرون والقدامى على أنّ والد الشاعر قد صحب ابنه إلى منطقة السَّماوَة بالبادية، فنزل في قرابة له من بني كلب، وأقام سنتين اثنتين عاد بعدهما إلى الكوفة بدويّا قحّا متضلّعا بدقائق العربيّة، وربّما أيضا بخليط من التعاليم القرمطيّة والفلسفيّة وبدأ يقول الشعر.

وفي سنة 316 هـ قصد أبو الطّيب بغداد، فلم يُطِل المكث، ورحل إلى الشام متنقّلا بين القبائل والمدن يمدح الأعيان وينشد العطايا، فيقابل بالحفاوة حينا وبالصّد أحيانا.

وفي سنة 320 هـ صمّم أبو الطيّب على الإقدام على مغامرة سيطرة فتؤول حركتُه به إلى الحبس. والحقّ أنّ الآراء تختلف اختلافا شديدا في طبيعة الوقائع التي حُبس شاعرنا من أجلها، ففريق من الدّارسين يؤكد أنّه ادّعى النبوّة، وفريق آخر يجزم بأنّه قاد حركةَ تمرّد على النحو الذي يزاوله بين الفينة والأخرى صغارُ المغامرين ، ويذهب فريق ثالث إلى أنّ الأمر لا يعدو أن يكون مكيدة دبّرها له خصوم كانوا يكيدون له كيدا أفسد عليه الإقامة والترحال.

وفي آخر سنة 324 هـ يخرج أبو الطيب من حبسه ويعود إلى التنقل بين القبائل والمدن بالشّام حاملا لقب المتنبّي يمدح ويفخر ويلاقي من النكبات والدّسائس ألوانا حتى أفضت به السبيلُ إلى بَدْر بن عمّار الخرشني سنة 327 هـ، فمدحه بعض الوقت. لكنّ دسائس الحاشية أفسدت عليه إقامته في حضرة هذا القائد، فاضطرّ إلى الرحيل وعاد يضرب في البادية يواجه عيشا نكدا وخصوما كثيرين.

وفي سنة 336 هـ يقصد شاعرنا أَنْطاكِية ويمدح أبا العَشَائر الحمدانيّ وإذا بهذا القائد يُوصله إلى سيف الدّولة. ويلازم أبو الطيب سيفَ الدولة الحمداني من سنة 337 هـ إلى سنة 346 هـ ، فكان يمدحَه بأجود شعره ويصحبه في الغزو ويحضر مجالسه بحلب، وقد كانت عامرة بالعلم والأدب. غير أن المكائد والدّسائس وإدلال الشاعر بشاعريّته قد أفسد ما بين الرّجلين فيضطرّ أبو الطيب إلى الهرب من حلب إلى دمشق ويسير إلى مصر قاصدا كافورا الإخشيدي

ويستقر أبو الطيب بمصر من سنة 346 هـ إلى سنة350 هـ، فيمدح كافورا وفَاتِكا الرّوميَّ. ولكنّ مماطلة صاحب مصر في ما يبدو أنّه كان وعده به – نعني الولاية – قد اضطرّته مرّة أخرى إلى الهرب، فيترك الفُسْطَاط سالكا طريق البادية بالصّحراء إلى الكوفة ويدخلها أوائل سنة351 هـ .

ويقيم أبو الطيب بالكوفة ثمّ يقصد إلى بغداد .غير أنَّ إقامته بها لم تطل إذ أغرى به البويهيّون النقاد والشعراء، فأَجْلَوْهُ عنها إجلاء عندما تأكَّد لديهم أنَّه متلحف برداء الكِبر زهدا في مدحهم. و يعود إلى الكوفة.

وفي شهر صفر من سنة 354 هـ يرسل الوزيرُ ابنُ العميد إلى الشاعر يدعوه إلى أَرجَّان، فيلبّي أبو الطيب دعوته ويمدحه. ويُنفذ السلطانُ عضدُ الدولة كتابا إلى ابن العميد يستدعي فيه أبا الطيب فيسير إليه بعد تردَّد ويمدحه بِشِيرَازَ وينال عطاياه. وذاك كان آخر ممدوحيه.

وفاته

توفّي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة للهجرة عندما كان راجعا من عند عضُدِ الدولة قاصداً بغداد ثمّ الكوفة في شعبان لثماني خَلَوْنَ منه، فعرض له فاتِك بن أبي جهل الأسدي في عِدَّةٍ من أصحابه، وكان مع المتنبي جماعة أيضاً. فقُتل المتنبي وابنُه وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية بمكان يقال له الصافية وقيل عند دير العاقول. ذكر ابن رشيق في العمدة : لمَّا فرّ أبو الطيب حين رأى الغلبة قال له غلامه : لا يتحدَّث الناسُ عنك بالفرار أبداً وأنت القائل :

فالخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فَكَرَّ راجعاً وقُتِلَ سنة أَربع وخمسين وثلاثمائةٍ لستٍّ بَقِينَ من شهر رمضان.

ديوانه

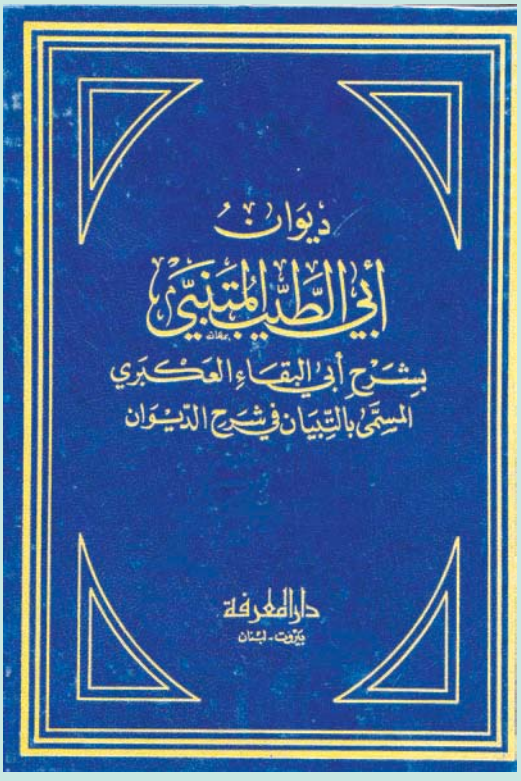

ترك شاعرنا ديوانا يحفل بأغراض الشعر المختلفة على رأسها المديح .وقد شُرح أكثر من مرّة ومن قبل الكثيرين من مشاهير أعلام اللّغة والبلاغة والأدب أمثال ابن جني والواحدي وابن فُوْرّجَه وابن الأفليلي والصاحب بن عباد وأبي بكر الخوارزمي والعميدي وابن وكيع والخطيب التبريزي والعكبري وابن الشجري والقاضي الجرجاني وأبي العلاء المعري. ويشتمل شعره على كثير من الحماسة وفنونها خصوصا ما قاله في سيف الدولة الحمداني وهذه القصائد تعرف بالسيفيّات.

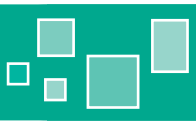

النّصّ عدد 6

لَأَتْرُكَنَّ وُجوهَ الخيلِ ساهِمة

التمهيد

«يرد الفخر في شعر المتنبّي بعد المدح وبعد الرثاء، وهو من الأغراض الهامّة، إلاّ أنّ ما يلاحظ في شأنه بصورة أوّليّة عامّة هو أن عدد القصائد والقطع الخالصة له قليل، فهو لا يَرِدُ وحده مستقلاّ عن أيّ غرض آخر ولا يمثّل هدف القصيدة وغايتها النهائيّة ومحرّكها الوحيد إلاّ في أربع قصائد وبعض القطع» (مبروك المنّاعي، قلق الشعر... ص100) منها هذه القصيدة من البسيط التي قالها المتنبّي في صباه متأثّرا بالأحداث التاريخيّة التي شهدها في تلك الفترة ومطلعُها :

ضَيْفٌ ألمّ برأْسِي غَيْرَ مُحْتَشِمِ والسَّيفُ أَحسنُ فِعْلا منه باللِّمَمِ

1 ليس التعلّلُ بالآمال مِنْ أَرَبي(1) ولاَالقناعَةُ بالإقْلال من شِيَمِي
2 ولا أظنُّ بناتِ الدَّهرِ(2) تَتْرُكُني حتّى تَسُدَّ عليها طُرْقَها هِمَمِي
3 لُمِ اللّيالي التي أَخْنَتْ على جِدَتي(3) بِرقَّةِ الحال واعْذُرْني ولا تَلُمِ
4 أرى أُناسا وَمَحْصولي على غَنَمٍ وذِكْرَ جُودٍ ومَحْصولي على الكَلِمِ
5 ورُبَّ مالٍ فقيرا من مُرُوّتِه لم يُثْرِ منها كما أَثْرَى من العَدَمِ
6 سَيَصْحَبُ النَّصْلُ منّي مِثْلَ مَضْرِبِهِ ويَنْجَلي خَبَري عن صِمَّةِ(4) الصِّمَمِ
7 لقد تَصبّرتُ حتّى لاتَ (5) مُصْطَبَرٍ فالآن أُقْحِمُ حتّى لاتَ مُقْتَحَمِ
8 لأَتْرُكَنّ وجوهَ الخَيلِ ساهِمةً والحربُ أَقْوَمُ من ساقٍ على قَدَمِ
9 والطِّعْنُ يُحْرِقُها والزجرُ يُقْلقُها حتّى كأنّ بها ضربا من اللَّمَمِ(6)
10 قد كَلَّمَتْهَا(7) العَوَالي(8) فهي كَالِحَةٌ كأنّما الصَّابُ(9) معْصوبٌ على اللُّجُمِ
11 بِكُلّ مُنْصَلِتٍ(10) مَازال مُنْتَظِرِي حتّى أَدَلْتُ لهُ من دولةِ الخَدَمِ
12 شيخٌ يرى الصَّلواتِ الخمسَ نافلةً ويَسْتَحِلُّ دَمَ الحُجّاجِ في الحَرَمِ
13 وكلّما نُطِحَتْ تحت العَجاجِ به أُسْدُ الكَتائبِ رامَتْهُ و لم يَرِمِ
14 تُنسِي البلادَ بُروقُ الجرِّ بارِقَتي وتَكْتَفِي بالدَّم الجاري عن الدِّيَمِ(11)
15 رِدي حِياضَ الرّدَى يا نفسُ واتّركي(12) حياضَ خوفِ الرّدَى للشَّاءِ والنَّعَمِ(13)
16 إنْ لَمْ أَذُدْكِ على الأرْماحِ سائِلَةً فلا دُعيتُ ابنَ أمِّ المجدِ والكَرَمِ
17 أَيَمْلِكُ المُلْكَ، والأسيافُ ظَامئَةٌ والطيرُ جائعةٌ، لحمٌ على وَضَمِ (14)
18 مَنْ لَوْ رآنِيَ ماءً ماتَ مِنْ ظَمَإٍ ولَوْ مَثَلْتُ لَهُ في النومِ لَمْ يَنَمِ
19 مِيعادُ كلِّ رَقيقِ الشَّفْرَتَيْنِ غَدًا ومَنْ عَصَى مِنْ ملوك العُرْبِ والعَجَمِ
20 فإن أجابوا فما قَصْدي بِها لَهُمُ وإنْ تَولَّوْا فما أَرْضَى لَهَا بِهِمِ

ابو الطيّب المتنبي. الديوان شرح العكبري الجزء الرابع دار المعرفة بيروت لبنان صص 39–44

الشرح

1) **أَرَبِي** : مصدر متعلّق بفعل أَرِبَ يأرَب إلى الشيء احتاجه.
2) **بنات الدهر** : كناية عن المصائب وحوادث الدّهر.
3) **جِدَتي** : مصدر متّصل بفعل وجد: ظفر بالمطلوب بعد ذهابه. الجِدةُ : الغِنَى.
4) **الصِمَّة** : اسم يطلق على الرجل الشجاع وعلى الأسد وذَكَرُ الحيّة جمعهُ الصِّمم.
5) **لات** : بمعنى ليس. والأصل فيها لا فزيدتْ عليها التّاء.
6) **اللَّمم** : الجنون، وقيل طرَفٌ من الجنون يُلِمُّ بالإنسان، وهكذا كلُّ ما ألمّ بالإنسان طَرَف منه ؛ قال شمر : هو طرَف من الجنون يُلِمُّ بالإنسان أي يقرب منه ويعتريه ويقال : أصابتْ فلانًا من الجنّ لمَّةٌ، وهو المسُّ والشّيءُ القليل.
7) **كلّمتها** : كَلَمَهُ يكْلِمُه كَلْمًا وكَلَّمَهُ كَلْمًا : جرحه، وأنا كالِمٌ وَرَجُلٌ مكْلُومٌ وَكَلِيمٌ. والكَلْمُ : الجُرْحُ، والجمع كُلُومٌ وكِلاَمٌ.
8) **العوالي** : جمع مفرده العالية وهي أعْلى القَنَاة، وأسْفَلُها السّافِلَةُ، وجمعها السّوافل وقيل : العالية القناة المستقيمة، وقيل : هو النّصف الّذي يَلي السِّنانَ، وقيل : عالية الرُّمْحِ رَأْسُه ؛ وعَوالي الرماح : أَسِنَّتُها، واحدتُها عالِيةٌ .
9) **الصَّاب** : شجر إذا اعْتُصِر خرج منه كهيئة اللّبن. نبات مرٌّ.
10) **مُنْصلِت** : اسم فاعل متعلق بأصْلت السيفَ : جرّدهُ من غمْدِهِ .
11) **الدِّيَم** : جمع مفرده الدِّيمة: المطر الدّائم.
12) **اتّركي** : صيغة افتعل من الجذر (ت/ر/ك). مصرّفة في الأمر مع المفرة المؤنّثة.
13) **النَّعَم** : قيل هو واحد الأنعام وقيل يراد به الإبل خاصّة.
14) **وَضَم** : كلّ شيء يوضع عليه اللّحم. خشبة يُقطّع عليها الجزّار اللّحمَ.

الفهم والتحليل

1- يمكن تقسيم النصّ اعتمادا على التقابل بين الشاعر والملوك والنّاس. بيّن حدود كلّ قسم وحدّد العلاقة بينهما.
2- امتزج الفخر بالشكوى في بداية النصّ. استخرج الأساليب الفنّية التي اعتمدها الشاعر لأداء معاني الفخر وإبراز دواعي الشكوى.
3- ما مظاهر التعبئة الحربيّة التي صوّرها الشاعر؟ وما الأساليب التي توخّاها في ذلك؟
4- حلّل بعض مظاهر الإيقاع الحماسي المبثوثة في النصّ، وعلّق على ذلك.
5- ادرس الصورة الفنّيّة التي تخيّرها الشاعر لتحريض نفسه على المقاتلة دون خوف.
6- انتشرت في النصّ القيم التالية : قوّة الإرادة، مَضاء العزيمة، التمرّد والرفض، المسؤوليّة، الحرّيّة. أثبت ذلك بقرائن من النصّ تؤيّد كلّ قيمة من القيم المذكورة.

النقاش

- هل يمثّل لك هذا البطل الملحميّ قيمة حربيّة أم قيمة إنسانية أم قيمة بطوليّة خارقيّة أم قيمة سياسيّةُ ؟
- هجَّن المتنبّي في هذا النصّ دولة الخَدم وهو في عهد الشباب ثمّ مدح أحَدَهُم وهو كافور الإخشيدي بعد مغادرته سيف الدولة. بِمَ تفسِّر ذلك ؟

بمناسبة هذا النصّ

الكتابة	* في غرض الفخر معانٍ حماسية وقيمٌ إنسانيّة. حرّر نصّا تحلّل فيه بعض هذه المعاني الّتي تغنّى بها المتنبّي في هذه القصيدة وفي قصائد أخرى.
الحقل المعجميّ	استخرج معجمي الحرب والفروسيّة.
الحقل الدلاليّ	انظر في معاني فعل "كلّم"
المعجم	* تبيّن الفروق بين الكلمات التالية : الزهو، الحماس، الأوار، الفروسيّة، البطش، الصولة، الفتك.
البلاغة	* "أيملك الملك... لحمٌ على وضم ؟" الاستفهام الدالّ على الإنكار هو استفهام يفيد موقفا للمتكلّم من سامعه يتمثّل في أنّه لا يقبل منه مضمون ذلك الاستفهام، وهذا الموقف على درجاتٍ أقصاها الإنكارُ أو التقريعُ وأدناها العتابُ وما بينهما درجات تتلوّن وفق السياق.
النّحو	* "لأتْرُكَنَّ" تأكيد باللاّم والنون الثقيلة. هل يتغيّر المعنى لوْ قال الشاعر "سأترك" ؟ علّل جوابك.
التّناصّ	* يحيل البيتُ السابعَ عشرَ على معنى ورد في إحدى قصائد النابغة الذبياني يقول فيها : إذا ما غزَوْا بالجيْش حلّقَ فوْقَهُمْ عصَائبُ طيْرٍ تهْتَدي بعَصَائبِ يُصاحِبْنَهُمْ حتّى يُغِرْنَ مُغارَهُم من الضارياتِ بالدِّماءِ الدوارب تراهُنَّ خلْف القوْمِ خُزْرًا عُيونُها جُلوسَ الشُّيوخِ في ثيابِ المَرانِبِ تبيّن أوجه التماثل بين النصّين.
الإيقاع	خاصّيّة المتنبّي اهتمامُه البالغُ بإيقاع البداية في أبيات قصائده. ومردّ هذا هو أنّ أخرياتها منخرطة بطبيعة الأمر في الموسيقى العامّة للقصيدة عن طريق اتّحاد القوافي : هكذا نتبيّن حرص هذا الشّاعر على توزيع كمّيّات صوتيّة على ما يمكن أن نسمّيه "منطقة الظّلّ في القصيدة (العربيّة) حتّى تصبح ثريّة بإيقاع التّجانس ثراء المنطقة الثّانية : منطقة الأعجاز". **مبروك المنّاعي**. قلق الشّعر ونشيد الدّهر. ط 1991 ص 161 * اقرأ البيتين 8 و9 قراءة جهريّة مراعيا الإيقاع، وتبيّن ما هو مأتى النغميّة فيهما.

تنوير

شخصية المتنبي

1– الوعي المزدوج

تشرّب أبو الطيّب هَمَّيْن : همّ ذاته بفقرها ووضاعتها أوّلا وهمّ أمّتِه في بداية تراجعها الحضاريّ ثانيا... والذي مكّنه من هذا التمثّل والوعي المزدوج لنقائص الذات والأمّة هو قدرة الشاعر القويّ وأحلامُ الإنسان الطموح : منها تكوّنتْ لديه رؤيةٌ ومشروع.. وطار ـ بالشعر ـ في فضاء البيئة وعراء القرن ونظر إلى العالم كالنسر مِنْ علُ فظهر له ما ينقص وبان ما يفعل.

وأوّل ما فعل هو إيمانه بذاته واحتقار غيرها كائنا مَنْ كان، لأنّه لا يُغيّر العالمَ إلاّ الأحلامُ الكبرى والأوهامُ الكبرى.

حَلُمَ المتنبّي حُلْمَ الإنسان الأكبر وتَوَهَّمَ وَهْمَه وتألّم ألمَه : حلُمَ بأنْ "يصلح" زمانا مُعْوَجّا ويخرج أمّة من الظلمات إلى النور.. ولقي ما يلقى أصحابُ هذه الأفكار دوْما من أذًى وتَعنّتٍ لأنّ "أولي الفضل في أوطانهم غرباء".

مبروك المنّاعي. أبو الطيّب المتنبّي :

" قلق الشعرو نشيد الدهر. "دار اليمامة. تونس 1991. ص106

2- ثورة المتنبّي

هل رسم المتنبّي نفسه ؟ ذلك لأنّ مَنْ يعجز عن تقديم نفسه يعجز عن تقديم الآخرين كما يرى البعضُ. وابتداء نرى أنّ المتنبّي أجاد في تصوير عالميْهِ الداخليّ والخارجيّ، فنحن نراه عندما يطلع على الدنيا غاضبا خشنا مليئا بالطموح والإدانة لكلّ ما حوله :

أيّ محـلّ أرتـقـــي أيّ عـظـيـم أتّقي
وكلّ ما قد خلق اللهُ ومـــا لم يخـلـق
مُحتـقـر في همّـتـي كَشَعْرَةٍ في مفرقي

فهو هنا في فترة المراهقة ولا يمكن أن يكتفي بالتمنّي، وإنّما لا بدّ أن يفجّر ثورته ويرفع لواءه على دولة اسمها العصيان. إنّه ينتقل هنا من حالة الغضب إلى حالة العصيان.

عبده بدوي. ظواهر أسلوبيّة في شعر المتنبّي
مجلّة فصول ج4 ع2 يناير/ مارس 1984 ص105

3-حماسة المتنبّي

هناك مواقف خاصّة تثير حماسة أبي الطيّب فيندفع كالسيل في نظم الشعر ويتدفّق ويصول ويجول في آفاق الإبداع، لا سِيَّمَا في مواقف العتاب والغضب والتحدّي، إذ يشعر في مثل هذه الحالات وما يشبهها أن" تفوّقه" الذي يحسَبه حقيقةً راسخة لا يأتيها الباطلُ من أيّة جهة، أصبح موضعَ جدل أو شكّ، فيثور أو هو " يتحمّس" في الواقع، للدفاع عمّا يحسبَه مقدّسا، وهو رأيه في نفسه وشعره ومقامه وسائر ما يتّصل بشخصه.

عبد اللطيف شرارة. أبو الطيّب المتنبّي. الشركة العالمية للكتاب ط 1. 1988 ص 65

وطيس الحرب

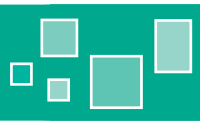

النّصّ عدد7

الحَدَثُ الحَمراءُ

التمهيد

سار سيف الدّولة (سنة 343 هـ) نحو الحدث لبنائها وقد كان أهلُها أسلموها بالأمان إلى الدمستق سنةَ سبعٍ وثلاثين وثلاثمائة (337هـ). فنزَلَها سيفُ الدّولة يوم الأربعاء لاثنتَيْ عشرة ليلة بَقِيَتْ من جُمادى الآخرة سنة ثلاثٍ وأربعين، وبدأ في يومه فخطّ الأساسَ وحفر أوّلَه بيده، فلمّا كان يومُ الجمعة نازله ابن فُقاس دمستق النصرانيّة في نحوِ خمسين ألفِ فارس وراجِلٍ من جموع الروم والأرْمَن والرّوس والبلْغر والصقْلب والخزْرية، ووقع القتال يوم الاثنين سَلْخَ جمادى الآخرة من أوّل النهار إلى وقت العصر. ويبدو أنّ سيف الدولة حمل عليه بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه فقصد موكبه وهزمه وقتل نحوَ ثلاثةِ آلاف من مقاتليه وأسر خلقا كثيرا فقتل أكثرهم واستبقى البعضَ وأسر توذس الأعْورَ وبطريقَ سمدويه ولقندويه وهو صِهرُ الدمستق على ابنته وأسر ابن ابنة الدمستق وأقام على الحدث إلى أن بناها ووضع بيده آخر شرافة منها في يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خَلَتْ من رَجَبَ.
(عن عبد الوهاب عزّام. الديوان ص 2).

فقال أبو الطيب وهو على الحَدَثِ هذه القصيدة التي اقتطفنا بعضًا من أبياتها (من الطويل) :

1 على قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزائمُ ... وتَأْتِي على قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارمُ
2 وتَعظُم في عين الصَّغيرِ صِغارُها ... وتَصغُر في عين العَظيم العَظائمُ
3 يُكلِّفُ سيفُ الدولة الجَيْشَ هَمَّه ... وقد عجزتْ عنه الجيوشُ الخضَارِم(1)
4 هل الحدثُ الحمراءُ* تَعرف لونَها ... وتَعرف أيَّ السَّاقِيَيْنِ الغَمائمُ
5 سَقَتْها الغمامُ الغُرُّ قبلَ نزوله ... فلمّا دَنَا منها سَقَتْها الْجَمَاجِمُ
6 بناها فأعلَى والْقَنَا يَقْرَعُ القَنَا ... ومَوْجُ المَنايا حَوْلَها مُتَلاطِمُ
7 وكان بِها مثلَ الجُنونِ فأصبحتْ ... ومِنْ جُثَثِ القتلى عَلَيْها تَمائِم(2)
8 طريدةُ دهرٍ ساقَها فرددتَها ... على الدِّين بالخَطِّيِّ (3) والدّهرُ راغم
9 تُفِيت(4) اللّيالي كلَّ شيء أخذتَه ... وهُنَّ لِمَنْ يَأخُذْنَ مِنك غوارِم(5)
10 إذا كان ما تَنْويهِ فِعْلا مُضارِعا ... مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عليه الجوازمُ
11 وكيف تُرجِّي الرومُ والرّوسُ هَدْمَها ... وذا الطعنُ آساسٌ لها ودعائمُ
12 وقد حاكَمُوها والمنايا حَواكِمُ ... فما ماتَ مَظْلُومٌ ولا عاشَ ظالمِ
13 أتَوْكَ يَجُرّون الحديدَ كأنّهم ... سَرَوْا بِجِيَادٍ مَا لَهُنّ قوائمُ
14 إذا بَرَقُوا لم تَعْرِف البِيضُ مِنهُمْ ... ثيابُهُمُ من مثلِها والعمائمُ (6)
15 خَميسٌ بشرقِ الأرضِ والغربِ زَحْفُهُ ... وفي أُذُنِ الجوزاءِ(7) منه زَمازِم
16 تجَمَّعَ فيهِ كلُّ لِسْنٍ وأمّةٍ ... فما تَفْهَمُ الحُدّاثَ إلاّ التَّراجِمُ

17 فَـلِـلَّـهِ وقتٌ ذَوَّب الـغِـشَّ نـارُه ... فـلم يـبـق إلاّ صَـارِم أو ضُبـارِم (8)
18 تَـقَـطّـعَ مـا لا يَـقْـطَـعُ الـدّرعَ والـقَـنـا ... وفـرّ مـن الـفـرسـان مَـنْ لا يصـادم
19 وقـفتَ ومـا في الموت شكٌّ لـواقـف ... كَـأنَّـك في جَـفْـن الـرَّدَى وهـو نـائـم
20 تمـرُّ بِكَ الأبـطالُ كَـلْـمَـى هـزيمـةً ... ووجـهُك وضّـاحٌ وثـغـرُكَ بـاسمُ

أبو الطيب المتنبي. الديوان شرح العكبري. الجزء الثالث
دار المعرفة. بيروت لبنان صص 378 – 385

التعريف بالأماكن

الحدث الحمراء : قلعة حَصِينة بين مَلَطْيَّة وسُمَيْسَاط ومَرْعَش من الثغور. ويقال لها الحمراءُ لحمرة تربتها وقيل لتلطّخها بدم الرّوم. وتقوم على جبل يقال له الأحيدب.

الشرح

1) **الخَضَارم** : جمع مفردُه الخِضْرِمُ : الكثيرُ من كلّ شيء. والمعنى المراد في النصّ الجيوش الكثيرة.
2) **تَمَائِم** : جمع مفرده تَميمة وهي التعويذة التي تُتوقّى بها الأضرارُ.
3) **الخَطّيّ** : صفة لموصوف محذوف (الرمح) وهي نسبة إلى مرفإ الخطّ بالبحرين الّذي تباع فيه الرّماح الجيّدة.
4) **تُفيت** : أفات فلان فلانا أمرا بمعنى حَرَمَه فرصةَ أخذه. وأفاتَ سيفُ الدّولة اللّيالي كلّ شيء أخذه أي استولى على ذلك الشّيء دونها فحرمها فرصة أخذه.
5) **غَوَارِم** : جمع مفردُه غارِمة يتّصل بفعل غَرِمَ الدَّيْنَ أي أدّاه.
6) **العمائم** : جمع مفرده العمامة، لباسُ الرّأس. يُكنّى بها عن الخوذ... ويقصد بها الخوذ الّتي يضعها الجند على رؤوسهم.
7) **الجوزاء** : نَجْمٌ يقال إنّه يعترض في جَوْزِ السّماء أي وسطها.
8) **الضُّبارِمُ** : الشّديد الْخَلْقِ من الأسُدِ، الجريءُ على الأعداء. يقال للأسَدِ ضُبَارِمُ وَضُبارِمَةُ.

الفهم والتحليل

1– قسّم النّصّ إمّا باعتماد معيار الاستدلال أو باعتماد معيار أطراف المواجهة والقتال. حدّد عدد المقاطع وفق المعيارِ الذي تختاره.
2– رسم المتنبي صورةً لسيف الدولة أثناء المعركة جوهرُها إتيانُ الأعمال الخارقة. استخرجها مبيّنا الأساليب البلاغيّة التي وظّفها في ذلك.
3–ما الصورةُ التي أخرج فيها الشاعرُ جيشَ الرّوم ؟ وما غايته من إخراجها على ذلك النحو ؟
4– ادرس طبيعة الإيقاع في هذا النصّ وبيّن دورهُ في تكثيف أجواء الحماسة.
5– بيّن العلاقة بين البيتين الأوّلين والبيتين الأخيرين. ماذا تستنتج ؟
6– ما الفروقُ بين طريقة كلّ من الشاعر والمؤرّخ في التعامل مع الواقعة ؟ علّل جوابك.
7– ما مقصد الشاعر من حديثه عن سيف الدولة فردا مفردا وعن الروم جيشا جماعة ؟
8– استخلص من النّص المعاني المدحيّة ذات البعد الحماسيّ.

النقاش

- هناك مَنْ ينفي عن الأدب العربي وجود ملاحم وأناشيدَ ملحميّة. ردّ على هذا الموقف بقرائن نصّيّة تستمدّها من القصيدة كاملة في الديوان ومن النصوص التمهيديّة التي أطّرت هذاالمحور.
- جعل المتنبي الأمير سيف الدولة صانعا للحدث التاريخي دون الجماعة. ما رأيك؟

بمناسبة هذا النصّ

الكتابة	توخّى الشاعر في التعريف بمعركة الحدث طريقة سرديّة مخصوصة هي طريقة (نقل الوقائع)، بطريقة أدبيّة. حرّر نصّا تحلّل فيه مقوّمات هذه الطريقة الأدبيّة.
الحقل المعجميّ	استخرج معجَمَيْ الحرب والفروسيّة.
الحقل الدلاليّ	انظر في معاني لفظ "همٌّ"
الإيقاع	اقرأ البيت 6 قراءة جهريّة مراعيا الإيقاع، وتبيّن ما هو مأتى النغميّة فيهِ.
البلاغة	أ) ما العناصر الأسلوبيّة والتركيبيّة التي جعلت من البيتين الأوّلين حكمة خالدة ؟ ب) الاستعارة المرشَّحة هي الاستعارة التي يتوفّر فيها ما يلائم المشبّه بعد استيفاء القرينة. – **وقفت وما في الموت شكّ لواقف كأنّك في جفن الرَّدى وهو نائم** يصف المتنبي سيف الدولة وهو في ساحة الحرب لا يعتريه خوف ولا يمسّه سوء، وأجرى الاستعارة في "جفن" مضافة إلى "ردى" مشبّها الردى بالإنسان ذي الجفن، مخرجا المعنى في غاية من الروعة : فقد جعل الشاعر البطل يسكن أكثر المواطن قربا من صاحبها وأدقها حسًّا بكل ما يقربها وهو الجفن، ولكن صاحب الجفن وهو الردى ها هنا لا يملك أن يمسّه بسوء، وهو آمن رغم دقة المكان وحسّه ورغم شدة البطش المتخيلة في الردى الذي تخافه الكائنات جميعا ، وكلّما ازداد سيفُ الدّولة قربًا من الرّدى ازداد هذا ضعفًا وهَوَانا، وإذا سيف الدولة هازم الرّدى وإذا حدوده تتجاوز الحدود البشرية. الأزهر الزناد/دروس في البلاغة العربية –المعهد الثقافي العربي/1992 ص ص 70–71
النّحو	– أكثر الشاعر من استخدام المركّب الحرْفي بواوِ بالحال مثل قوله : "بناها فأعلى وَالقنا يقرعُ القنا". – استخرج أمثلة أخرى على ذلك وبيّن سبب تواترها.
التّناصّ	قارن بين طريقة وصف المتنبي للحرب في واقعة الحدث وطريقة وصف أبي تمّام لها في فتح عموريّة.

تنوير

الإطار التاريخي

1– الشعراء البيزنطيُون يَتغَنَّوْنَ بالشّعْرِ

أنشد شعراءُ البيزنطيّين قصائدَ طِوالا عن حروبهم مع العرب وظهرت في بيزنطة ملحمةٌ شعبيّة مطوّلة سجّلَ فيها مؤلّفوها الحوادث الحربيّة التي جرت على الحدود الشرقيّة في حروب (ديجينيس أقريطاس(Digènis Akritace)

الّذي قضى عمره في محاربة المسلمين في البّر والبحر وكانت له أكبرُ درجة في الجيش البيزنطيّ وأنّ أبا هذا البطل أسلم. وفي الأناشيد البيزنطيّة التي كان ينشدها الروم ويردّدونها :" النصرُ لله الذي هدم البلاد العربيّة والنّصر للّه الذي شتّت شمل من ينكر التثليث المقدّس، والنصر لله الذي جلّل بالخيبة هذا الأمير القاسي عدوّ المسيح، النّصر للّه، النّصر للّه"، وكانوا إذا ظفروا على العرب أقاموا في كنائسهم تقديسا مسيحيّا إذ كانَت الحرب ضدّ العرب في نظر البيزنطيّين (حربا صليبيّة).

زكي المحاسني. شعر الحَرْب في أدب العُرب في دار المعارف مصر 1961

فَنّ الشعر عند المتنبي

1- مصدر الحكمة عند المتنبي

أمّا مصدرُ حكمة المتنبي فهو قبل كلّ شيء نفسُه وتجاربُه وإلهامُه لا دراسة الفلسفة أو التأمّلات في ما وراء الطبيعة ووراء الزمان والمكان، وإنْ كان قد استقى أحيانا بعضَ حِكَمه ممّا وصل إليه من نظريّات اليونان وآرائهم وممّا أطلعته عليه ثقافتُه. ولمّا كانت نفسيّة الشاعر مفطورةً على القوّة والاعتداد والطموح كانت فلسفتُه تعظّم القوّة وتقدّسها وتضحّي بكلّ صغيرضعيف في سبيل كلّ كبير جبّارمترفّع عن الدنايا. إنّ فلسفة المتنبي على الإجمال فلسفةُ الآمل والطامح المؤمن بالقوّة والآمل الخائب المثقل بالنقمة والثورة والتشاؤم.

حنّا الفاخوري. الحكم والأمثال دار المعارف بمصر. ص4

2- كان ينبغي أن تقول

لمّا أنشد المتنبي سيفَ الدولة قولهُ فيه "وقفتَ وما في الموت شكّ لواقفٍ "البيت والذي بعدهُ، أنكر عليهِ سيفُ الدولة تطبيق عجزي البيتين على صَدْرَيْهِمَا وقال له كان ينبغي أن تقول :

وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ ووجهُك وضّاحٌ وثغرك باسِمُ
تمرُّ بكَ الأبطالُ كَلْمَى هزيمةً كأنّك في جَفْنِ الرَّدَى وهو نائِمُ

قال وأنت في هذا مثل امرئ القيس في قوله :

كأنّي لم أركب جوادًا للذّةِ ولم أتبطن كاعبًا ، ذات خلخال
ولم أسبأ الزقَّ الرويَّ ولم أقل لخيليَ : كرّي كرّة بعد إجفالِ

قال : ووجهُ الكلام في البيتين على ما قالهُ العلماء بالشّعر أن يكون عجزُ البيت الأول مع الثاني وعجزُ الثاني مع الأول ليجمع بين الشيء وما يناسبهُ. فقال أبو الطيب : إن صَحَّ أَنَّ الذي استدرك على اِمرئ القيس هذا أعلمُ منهُ بالشعر فقد أخطأ امرؤُ القيس وأخطأتُ أنا. ومولانا يعلم أنَّ الثوب لا يعرفُه البَزَّازُ كما يعرفهُ الحائِكُ لأنّ البزّاز يعرف جملتهُ، والحائكُ يعرف تفاصيله. فإنَّ امرئ القيس قَرَنَ لذّةَ النساء بلذة الركوب للصيد والشجاعة في منازلة الأعداء بالسماحة في شراء الخمر للأضياف، للتضايف بين كلّ من الفريقين وأنا كذلك لَمَّا ذكرتُ الموتَ في صدر البيت الأول اتبعته بذكر الرّدَى في آخره ليكون أحسنَ تلاؤما، ولمَّا كان الجريحُ المنهزم لا يخلو أن يكون وجههُ عبوسًا وعينهُ باكيةً قلتُ : ووجهك وضّاحٌ وثغرك باسِمُ لأجمع بين الأضداد في المعنى. فأُعجِبَ سيفُ الدولة بقولِه ووصلهُ بخمسين دينارًا من دنانير الصِّلات، وفيها خمس مئة دينار.

عبد اللطيف شرارة. أبو الطيب المتنبي : دراسات ومختارات

الشركة العالمية للكتاب بيروت –ص ص 109- 110

3- **التركيب الثنائي : التوازي**

من مظاهر التَّركيب الثُّنائي ظاهرةُ التّوازي سواء أكان ذلك من توازي الكتل الدّلاليّة والمجموعات اللُّغويّة أم من توازي العناصر اللُّغويّة الفرديّة .

وبموجب هذه الظَّاهرة يَرِدُ البيتُ الشِّعريّ على أحد نَمَطَيْنِ إمّا صدرُه مُوَازٍ لعَجُزِه من حيث أنّهما يحملان دلالتين متوافقتين أو متكاملتين، وإمّا يَرِدُ البيتُ متجمّعة فيه عناصرُ متراصفة متلاحقة يردّد بعضُها الآخر أو ينوّعه خدمة لحقل دلاليّ معيّن مبسوط. فمن النّمط الأوّل قوله :

على قدرِ أهل العزم تأتِي العزائمُ وتأتِي على قدرِ الكِرامِ المكارِمُ

فكلا المصراعين يُدَاخِل الآخرَ في الدّلالة ويلابِسُه في البنية الشِّعريَّة والتَّركيب اللُّغويّ بحيث يتوازى بالتَّطابق:

على قدر //على قدر

تأتي//تأتي

ويتوازى بالبناء المقطعيّ الاشتقاقيّ وهو ما يفضي إلى تطابق عروضي : العزائم //المكارم

كما يتوازيان بالدّلالة الحافّة إذ العزيمة مكرمة بوجه من الوجوه.

ويتوازى باقتضاء السياق كلٌّ مِنْ : أهل العزم//الكرام

غير أنّ الشّاعر قد فرقع التَّوازي الّذي قام البيت عليه بين :

تأتي//تأتي

على قدر//على قدر

بكسر في التّنظيم والمدلول، فأمّا الّذي في التّنظيم فيخص : العزائم /المكارم، وأمّا الّذي في المدلول فيخصّ كما أسلفنا : أهل العزم/الكرام بدل :

أهل العزم//أهل الكرم

العازمون//الكرام.

عبد السلام المسدي. قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون الشركة التونسية للتوزيع 1984 ص ص 84-85

4- **الوصف الحماسيّ**

الوصف الحماسيّ نعني به اللَّوحاتِ الوصفيّةَ المطوّلةَ أحيانا والجيّدةَ غالبا التي يخصّصها المتنبّي لوصف معارك ممدوحيه وحروبهم ضدّ مناوئيهم وخصومهم ويأتي بها في غضون المدحيّات في شكل استطراد يوسّع معنى المدح الحربيّ ويثريه ويطيله إلى حدّ ننسى معه المدح أو نكاد وتنقلب معه القصيدةُ وصفا لجزئيّات معركة وتفاصيلها بداية و سيرا ونتائج..

مبروك المنّاعي.

"أبو الطيّب المتنبّي قلق الشعر ونشيد الدهر" ط/1991 ص126

5- **موسيقى الشّعر**

إنّ للمتنبّي منحى خاصّا في استخدام موسيقى الشّعر، أهمّ خصائصه عضدُ المباني للمعاني وإنشاء تجانس موسيقيّ إضافيّ في صدور الأبيات بما يحوّل القصيدة إلى حقل نغمي واسع شقّ منه قِوامه تجانس الثّبات وهو الأعجاز وشقّ منه قِوامُه تجانس التّنوّع وهو الصّدور. أضف إلى هذا قلّة التّخليع في شعره وأسره القوافي ونزوع البحور في يده إلى الكمال بما يجعلها عنده أوفى ميزانا منها في أيدي غيره".

مبروك المنّاعي.

"أبو الطيّب المتنبّي قلق الشعر ونشيد الدهر" ط/1991 ص163

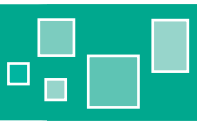

النّصّ عدد8

لِهَذَا اليَوم بَعدَ غَدٍ أريجُ

التمهيد

في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة شهد المتنبي مع سيف الدولة غزوة للروم وكانت هذه الوقعة خطيرة حقّا، فقد انتصر فيها سيفُ الدولة انتصارا مؤزّرا أوّلَ الأمر فاقتحم الحدودَ وأمعن في بلاد الروم حتى أَبْعَدَ وملأ يديه بالغنيمة ثم استحالتْ إلى هزيمة فقد صعب القفول على الغزاة إذْ أثقلتهم الغنائمُ والأسرى ولصق بهم العدوُّ وأخذ عليهم الطرق وأبلى سيفُ الدولة في الدفاع عن المسلمين بلاء حسنا ولكنّه لم يبلغ من التوفيق ما كان به خليقا فَتَفَرَّقَ عنه أصحابُه ولم ينْجُ هو إلاّ بعد جهد، وقال المتنبي في هذه الوقعة قصيدتين : أولاهما الجيميّة التي قالها حين عرض الأميرُ جيشه قبل الهجوم وأوّلها (من الوافر) :

لِهذا اليوم بعد غد أريجُ ونارٌ في العدوّ لها أجيجُ

والأخرى العينيّة التي قالها بعد الهزيمة يسلي الأمير وينذر بها الرّوم(من البسيط) وأوّلها :

غَيْرِي بأكْثَر هذا النّاس يَنْخَدِعُ إنْ قاتلوا جَبُنُوا أو حَدّثوا شَجُعُوا

طه حسين. مع المتنبي. دار المعارف بمصر ص224

1 لِهَـذا اليَـومِ بَعـدَ غَـدٍ أَريجُ وَنـارٌ فِـي العَـدُوِّ لَـهَـا أَجيجُ
2 تَبيتُ بِها الحَواصِنُ آمِناتٍ وَتَسْلَمُ في مَسالِكِها الحَجيجُ
3 فَلا زالَتْ عُداتُكَ حَيثُ كانَتْ فَرائِسَ، أَيُّها الأَسَدُ المَهيجُ
4 عَرَفتُكَ وَالصُّفوفُ مُعَبَّآتٌ وَأَنتَ بِغَيرِ سَيفِكَ لا تَعيجُ(1)
5 وَوَجهُ البَحرِ يُعرَفُ مِن بَعيدٍ إِذا يَسْجُو، فَكَيفَ إِذا يَموجُ؟
6 بِأَرضٍ تَهلِكُ الأَشواطُ(2) فيها إِذا مُلِئَتْ مِنَ الرَّكضِ الفُروجُ(3)
7 تُحاوِلُ نَفسَ مَلْكِ الروم فيها فَتَفديهِ رَعِيَّتُهُ العُلوجُ(4)
8 أَبِالْغُمَراتِ(5) تُوعِدُنا النَّصارَى وَنَحنُ نُجومُها، وَهِيَ البُروجُ ؟
9 وَفينا السَّيْفُ حَمْلَتُهُ صَدوقٌ إِذا لاقى، وَغارَتُهُ لَجوجُ
10 نُعَوِّذُهُ مِنَ الأَعْيانِ(6) بَأساً وَيَكْثُرُ بِالدُّعاءِ لَهُ الضَّجيجُ
11 رَضينا وَالدُمُستَق* غَيرُ راضٍ بِما حكَمَ القَواضِبُ(7) وَالوَشيجُ(8)
12 فَإِن يُقدِمْ، فَقَدْ زُرْنا سَمَنْدُو* وَإِن يُحْجِمَ، فَمَوعِدُهُ الخَليجُ

أبو الطّيب المتنبيّ. الديوان شرح العكبري. الجزء الأول.
دار المعرفة بيروت لبنان ص 271

التعريف بالأعلام والأماكن

* **الدمستق** : قائد الروم.
* **سَمَندو** : قلعة ببلاد الروم قرب مُلْتَانَ. غزاها سيفُ الدّولة سنة 339 هـ وهرب منه الدُّمُسْتق.

الشرح

1) **تَعيج** : تُبالي.
2) **الأشواط** : مفردها شوطٌ : الطَّلَقُ مِنَ العدو. جاء في لسان العرب : شاط يَشُوطُ شَوْطا : إذا عَدا شوْطا إلى غاية. الشَّوْطُ : الجريُ مرّة إلى غاية.
3) **الفُروج** : مفردها فَرْج وهو ما بين قوائم الفرس.
4) **العُلُوج** : مفردها العِلج وهو الجافي الغليظ من رِجَالِ العَجَم.
5) **الغَمَرات** : الشدائد. غَمَرَاتُ الحربِ والموتِ وغِمَارُها. شدائدُها مفردها غَمْرَة.
6) **الأعْيان** : والأَعْيُنُ : العُيون مفرده عَيْنٌ.
7) **القَوَاضب** : جمع مفردُه قَاضِبٌ : يقال سيفٌ قَاضِبٌ وقَضّاب وقَضّابة : قطّاع. السّيوف القواطع.
8) **الوَشِيج** : عامّة الرّماح واحدتُها وَشِيجَةٌ. وقيل : هو من القَنا أصلَبُهُ.

الفهم والتحليل

1- هذه القصيدة اسْتِباق لما يحدث، بيّن ذلك.
2- انفتح القول الشعري بإيقاعات مميّزة. استخرجها وبيّن دورها في بناء نغم خاص.
3- تشكّلت صورةُ الممدوح من خلال أحواله وأفعاله باستعمال أساليب بلاغيّة وصور فنّية. استخرج عناصرَ تشكيل هذه الصورة وبيّن ما فيها من معان حماسيّة.
4- راوح الشاعرُ بين أسلوبين في النّصّ، حدّدهما ثمّ بيّن أثر المراوحة بينهما في نماء النفس الحماسيّ.
5- ما الهدفُ من هذه الحرب ؟ وما القيمُ التي يدافع عنها الشاعر ؟
6- يبعث الشاعر رسالة إلى العدوّ. ما فحواها ؟ وما أثرها ؟
7- بيّن مظاهر حضور ذات الشاعر في هذه المدحيّة، وأبد رأيك في ذلك.

النقاش

■ لِهذه القطعة خصائصُها التي تميّزها من قَصائد "السيفيّات". ما وجه طرافتها في نظرك ؟

بمناسبة هذا النصّ

الحقل المعجميّ	استخرج المعجم الحربي والمعجم الدينيّ وبيّن أثركلّ منهما في تنمية الغنائيّة الحماسيّة.
الإيقاع	أنشد القصيدة إنشادا عروضيّا ثم أنشدها إنشادا معنويّا. ماذا تلاحظ ؟
البلاغة	المراوحة بين الإنشاء والخبر في النصّ الشعري ظاهرة متواترة لأنّها تولّد حركة ونماء وحيويّة فيه إذ يجد الشاعر فسحة لتصوير وجدانه وانفعالاته من خلال الإنشاء وينقل ما يجب نقله بواسطة الخبر. اذكر مثالين لكلّ أسلوب
المعجم	ابحث عن معاني الكلمات التالية : أريج/ أجيج / سجا / ماج /لجّ. هل وردت في النصّ في معانيها الحقيقيّة ؟

تنوير

فن الشعر عند المتنبي

1- بحور الشعر عند المتنبي

حين ينظر إلى هذا الشعر يتبيّن أنّ نحوَ سبع وخمسين من قصائده من البحر الطويل وستٍّ وأربعين من الوافر وثلاث وأربعين من الكامل. ومعنى هذا أنّ أكثر شعره قد جاء من البحور القويّة المعطاءة ذات النغم الممدود الذي يصلح للتعبير عن حالات التصارع في النفس، وهو ما سمّيناه حالات "الطباق" لا حالات "الجناس". ومعنى هذا أنّه جار على بقيّة البحور لأنّها لم تكن تحسن التعبير عن عواطف المتنبي البدويّة فهي بحور متحضّرة ذاتُ إيقاعات لامعة تحتاج إلى النفوس المتصالحة مع الحياة لا التي تدخل معها في شقاق.

عبده بدوي. ظواهر أسلوبيّة في شعر المتنبي

مجلّة فصول ج 4 ع 2 يناير/مارس 1984 صص 195-205

2- عظمة المتنبي

* كانت عظمة المتنبي في أنّه لم يلبس لكلّ حال لبوسها وفي أنّه جسّد ثلاثة أشياء هي عذابه وعذاب أمّته وعبقريّة لغته ولعلّ هذا كان وراء قيامته من الموت .

عبده بدوي. ظواهر أسلوبيّة في شعر المتنبي

مجلّة فصول ج 4 ع 2 يناير/مارس 1984 صص 195- 205

3- الجناس وأثره

"يبدو لنا الإجراء الفنّي الحاسم الّذي يكشف عن براعة المتنبّي في استخدام الجناس يتمثّل في المماثلة الصّوتيّة الدّاخليّة أي جرس الأصوات وموسيقى المقاطع ممّا يمنح البيت إيقاعه الخاصّ وهو إجراء يمكّنه من نشر الموسيقى في حشو القصيدة وجعلها تتمشّى في الأبيات عن طريق تكرار متعمّد لأصوات أو مقاطع بعينها متماثلة في الجرْس بصورة يسهم فيها المبنى في إنتاج المعنى وتكثيف إيحاءاته..."

مبروك المنّاعي. قلق الشّعر ونشيد الدّهر. ط 1991 ص 161

فنّ الشعر

*** القصيدة القديمة شديدة الانفراط شديدة التنظيم**

ولمّا كان أغلبُ الشعر القديم انتصارًا لموقف وقيم وهجاءً لموقف آخر وقيم أخرى وحنينا قويّا إلى الماضي لا يخلو من إدانة الحاضر، انتشرتْ على أبياته ظلالُ العقل، فترصّعت القصائدُ بالحِكم والأمثال، وجاء كلُّ مقطع من مقاطعه ناهضا بوظيفة دلالية يستقلّ بها ويلتقي بالمقاطع الأخرى وهي تستقلّ بدلالاتها، فينشأ، من ذلك، نوعٌ من التكامل بين أجزاء القصيدة ومقاطعها. لهذا تبدو القصائدُ القديمة، في آن واحد، شديدةَ الانفراط شديدةَ التّنظيم. فهي منفرطةٌ لأنّ العالم، أو ما يذكره الشاعرُ منه، تراكمٌ من الفوضى ومن الأوضاع المقلوبة والنّفائس المغبونة والوضاعات السائدة ... وهي منظمة لأنّ لهذا الخليط منطقًا يحكمه وقوانينَ تجري عليه. والنفاذ إلى ذلك المنطق وتلك القوانين هو المقصد الذي يسعى إليه الشاعر. ومن هنا كان الشعر القديم شكوى وتعاليم. فالشكوى تدعو إلى قولِ الشعر والى الانتصار لهذه القيم أو تلك، والتعاليمُ تبرّر الشكوى من فساد العالم وتحمل على الصّبر عليه.

حسين الواد.

مدخل إلى شعر المتنبي- دار الجنوب للنشر تونس 1991 ص 81

النّصّ عدد9

الرَّأيُ قَبلَ شَجَاعَةِ الشُّجعَانِ

التمهيد

قال أبو الطيّب يمدح سيف الدولة الحمدانيّ وقتَ مُنْصَرَفِهِ من بلاد الروم وذلك في شهر صَفَرَ سنة345 هـ / 956م والقصيدة من الكامل.

1 الـرَأيُ قَـبـلَ شَـجـاعَـةِ الشُـجْـعـانِ هُـــوَ أَوَّلٌ وَهِـــيَ المَحَـلُّ الـــثـــانـي
2 فَـإذا هُـمـا اِجـتَـمَـعـا لِـنَفسٍ حُرَّةٍ بَـلَـغَـت مِـنَ الـعَـلْـيـاءِ كُـلَّ مَـكـانِ
3 وَلَـرُبَّـمـا طَـعَـنَ الـفَـتـى أَقـرانَـهُ بِـالـرَأيِ قَـبـلَ تَـطـاعُـنِ الأَقْـرانِ
4 لَـولا العُقولُ لَكانَ أَدنى ضَيْغَمٍ(1) أَدنـى إِلـى شَرَفٍ مِنَ الإِنسـانِ (...)
5 لَولاسَمِيُّ سُيـوفِهِ(2) وَمَـضـاؤُهُ لَمّا سُلِلـنَ لَكُنَّ كَـالأَجفـانِ(3)
6 خاضَ الحِمامَ(4)بِهِنَّ حَتّى ما دَرى أَمِـــن اِحتِقـــارٍ ذاكَ أَمْ نِسيَـــانِ
7 وَسَعـى فَـقَصَّرَ عَن مَداهُ في العُلى أَهلُ الزَمـانِ وَأَهلُ كُلِّ زَمـانِ (...)
8 قـادَ الجِيادَ إِلى الطِّعـانِ وَلَم يَقُدْ إِلاَّ إِلى الـعـاداتِ وَالأَوْطـانِ (...)
9 في جَحْفَلٍ(٥) سَتَرَ العُيونَ غُبارُهُ فَـكَـأَنَّـمـا يُـبـصِـرْنَ بِالآذانِ
10 يَرمـي بِـهـا البَلَدَ البَعيدَ مُظَفَّرٌ كُـلُّ الـبَـعـيـدِ لَـهُ قَـريبٌ دانِ
11 فَـكَـأَنَّ أَرجُلَـهـا بِـتُـرْبَـةِ مَـنْـبِـجٍ* يَـطرَحْنَ أَيدِيَـهـا بِـحِـصْـنِ الرَّانِ*
12 حَـتّـى عَـبَـرنَ بِـأَرْسَـنـاسَ* سَوابِحًا يَـنشُـرنَ فـيـهِ عَـمـائِـمَ الـفُـرسـانِ..
13 وَالماءُ بَـينَ عَـجـاجَـتَـينِ مُـخَـلِّـصٌ تَـتَـفَـرَّقـانِ بِـــهِ وَتَـلـتَـقِـيـانِ
14 رَكَضَ الأَميرُ وَكَـاللُّجَيْنِ حَبابُهُ(6) وَثَـنـى الأَعِـنَّـةَ وَهـوَ كَـالـعِـقْـيانِ(7)
15 فَـتَـلَ الجِبـالَ مِـنَ الغَدائِرِ(8) فَـوقَـهُ وَبَـنـى السَفينَ لَـهُ مِـنَ الصُّـلْـبـانِ
16 وَحَـشـاهُ عـادِيَـةً بِـغَـيرِ قَـوائِـمٍ عُـقـمَ الـبُـطـونِ حَـوالِـكَ الأَلْـوانِ
17 تَـأتـي بِـمـا سَبَـتِ الخُيـولُ كَـأَنَّـهـا تَحتَ الحِسانِ مَرابِضُ الغِزْلانِ (...)
18 يـا مَـنْ يُـقَـتِّـلُ مَـن أَرادَ بِـسَـيـفِـهِ أَصـبَـحتُ مِـن قَـتـلاكَ بِـالإِحسـانِ
19 فَـإِذا رَأَيـتُـكَ حـارَ دونَكَ نـاظِـري وَإِذا مَـدَ حْـتُكَ حـارَ فـيـكَ لِـسَـانـي

أبو الطيّب المتنبي. الديوان شرح العكبري.

دار المعرفة بيروت لبنان. ج 4 ص174

التعريف بالأعلام والأماكن

* **مَنبِج** : بلد الشام على مرحلتين من حلب.
* **حصْن الرَّان** : حصن ببلاد الرّوم في الثّغر قرب مَلَطْيَة. ومَلَطْيَةُ بلدةٌ من بلاد الرّوم تُتَاخِمُ الشّام وهي للمسلمين. فتحها الدّمستقُ سنة 322 هـ وَهَدَمَ سُورها وقصورها. قال ابن جني :" بين مَنْبِجِ وحِصْن الرَّانِ مسيرة خمس ليال."
* **أَرسَناسُ** : نهر ببلاد الرّوم بارد الماء جدّا.

الشرح

1) **ضَيغَم** : الأسد. الواسع الشِّدْق.
2) **سَمِيُّ سُيوفِهِ** : السَّمِيّ صفةٌ من سمّى يسمّي تسمية. والسَّمِيّ مَنْ يشترك مع شخص آخر في نفس الاسم. وَسَمِيُّ سُيوفِهِ في البيت يعني سيف الدولة.
3) **الأجفان** : مفرده جَفْنٌ وهو غِمْدُ السَّيْفِ.
4) **الحِمامُ** : قضاء الموت وقدَرُه، من قولهم حُمَّ كذا أي قُدِّرَ. والحِمَمُ المنَايا، واحدتها حِمَّةٌ.
5) **جَحْفَلُ** : الجحفل : الجيش الكثير، ولا يكون ذلك حتّى يكون فيه خَيْل ؛ وتَجَحْفَلَ القومُ : تَجَمَّعوا.
6) **اللُجَينُ** : الفضّة، لا مكبّر له جاء مصغَّرا مثل الثُّريَّا والكُمَيْتِ.
7) **الحَباب** : الفقاقيع التي تعلو الماء.
8) **العِقيان** : الذّهب الخالص. قال الزهري : أما عَقَنَ فإنّي لم أسمع من مُشْتقّاته شيئا مستعملا إلاّ أن يكون العِقْيَانُ فِعْيَالا منه، وهو الذَّهبُ، ويجوز أن يكون فِعْلانا من عَقَى يَعْقِي، وهو مذكور في بابه.
9) **الغَدائِرُ** : مفردها غديرة وهي الخِصْلة من الشعر.

الفهم والتحليل

1- تَبَيَّنْ أقسام المدحية ثمّ بيّن غاية الشاعر من تصديرها بأبيات في الحكمة.
2 - بم علّل الشّاعر تقديمه الرّأي على الشّجاعة ؟ هل توافقه الرّأي ؟ علّل جوابك.
3- راوح الشّاعر بين السّرد والوصف في مدحه سيف الدّولة. وضّح مواطن ذلك من القصيدة وبيّن أثر هذه المراوحة في تنامي النّفس الحماسيّ.
4 - استخلص من النّصّ المعاني المدحيّة وبيّن قيمة المغالاة فيها في تحقيق شعريّة النّصّ.
5- كيف تبدو لك علاقة الشّاعر بالأمير في القصيدة ؟ ماذا تستنتج من ذلك ؟

النقاش

- يقول قُدَامَةُ بن جَعْفَرٍ في كتابه "نقد الشعر" في معرض حديثه عن المدح :

"لمّا كانت فضائلُ النّاس من حيث هُمْ ناس، لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوانات، على ما عليه أهلُ الألبابِ من الاتّفاقِ في ذلك، إنّما هي العقلُ والعِفَّةُ والعَدلُ والشجاعة؛ كان القاصدُ للمدح بهذه الأربعة مصيباً، وبمَا سِوَاهَا مخطئاً...

"هل ترى المتنبي مقصِّرا في مدحه سيفَ الدولة استنادا إلى قول هذا الناقد أم تلتمس له مبررا لتركيزه على قيمتين من قيم المديح ؟

- قدّم الشاعرُ في "الصراع" بين الأقران" قوّة الحجّة" على "حجّة القوّة". هل ترى هذه الفلسفة ما زالت صالحة في عصرنا ؟
- لئن قدّم المتنبي العقل على الشجاعة فإنّه ركّز في مدحه سيف الدولة على القوّة الحربيّة وشدّة الفتك. فهل تراه متناقضا في ذلك ؟ علّل جوابك

بمناسبة هذا النصّ

الكتابة	* اكتب نصّا تقارن فيه معاني الحماسة في المدح عند كلٍّ من أبي تمّام والمتنبّي
الحقل المعجميّ	* استخرج من النّصّ كلّ الأفعال الّتي تدلّ على معنى القيادة البطوليّة المنسوبة إلى الممدوح.
بيت القصيد	* بيت القصيد في هذا النّصّ هو آخر بيت فيه وهو قاعدتهُ. ادرسه ثم بيّن دوره في توليد معاني الأبيات الّتي سبقته.
البلاغة	* استخرج التّشابيه الواردة في الأبيات 11 – 14 – 17 ثمّ حلّل أركانها وبيّن نوع كلّ منها. ماذا أضافت إلى الصّورة ؟
النّحو	* حلّل تركيب الشّرط في البيتين 4 – 5 وبيّن مقصد الشّاعر من استعماله.
المعجم	* تبيّن الفروق بين الرّأي والتّعصّب والتعنّت والتّزمّت والحكمة والرّشد في المقام الأوّل والفروق بين الشّجاعة والتّهوّر والمبادرة والإقدام في المقام الثّاني ثمّ استخلص القواسم المشتركة بين المجموعة الأولى والمجموعة الثّانية.

تنوير

الإطار التاريخي

سيف الدولة في نظر المؤرخين البيزنطيّين

* كان المؤرّخون البيزنطيّون الذين كتبوا تاريخَ حروب القسطنطينيّة مع حلب منذ القرن العاشر يُسَمّون سيفَ الدولة بـ Apochaudas ، وكانوا يصفونَه بالكافر الحمداني تارةً وبالمحارب الوحيد الأعظم الذي أعلن الحربَ المقدّسة على النّصرانيّة. ومتى قال أحدهم "الحمداني" فإنما كان يعني سيفَ الدولة .. ويقول المؤرّخ شلمبرجه عن سيف الدولة عندما حقّق نصرا مبينا على نيسفور فوكاس : "إنّه كان فارسا شجاعا إلى أقصى ما يمكن من وصف الشجاعة والإغارة وإنّه كان لا يعرف الخوف ولا الخَوَرَ. وطالما كان جديرا بأشرف الأعمال وأكرمها. فهو حامي ذِمام الديار ومنهض الأدب والمغرم بالفنون .. كأنّ سيف الدولة كان مخلوقا ليسكن في قصور ألف ليلة وليلة أو في خيام الضاربين في عرض الصحراء".

زكي المحاسني

شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة دار المعارف بمصر. ص 247

فن الشعر عند المتنبي

1– المغالاة طَبْع المتنبي

* يقول ابن رشيق القيرواني في كتابه "العُمْدَةُ في مَحَاسِن الشعر و نقده" : فإذا صِرت إلى أبي الطيب صرت إلى أكثر الناس غلواً، وأبعدِهم فيه هِمّةً، حتى لو قدر ما أخلي منه بيتاً واحداً، تبلغ به الحال إلى ما هو عنه غنيٌّ، وله في غيره مندوحة.

2– المتنبي سبّاق إلى المعاني

* يقول أبو العباس النامي الشاعر :" كان قد بقي في الشعر زاويةٌ دخلها المتنبي وكنت أشتهي أن أكون سبقته إلى معنيين قالهما ما سبق إليهما. أمّا أحدهما فقوله :

رَماني الدَهرُ بالأَرزاءِ حَتّى ... فُؤادي في غِشاءٍ مِن نِبالِ
فَصِرتُ إِذا أَصابَتني سِهام ... تَكَسَّرَتِ النِصالُ عَلى النِصالِ

والآخر قوله :

في جَحفَلٍ سَتَرَ العُيونَ غُبارُهُ ... فَكَأَنَّما يُبصِرنَ بِالآذان

3- قيمة العقل عند المتنبّي

* إنّ شهرة المتنبي ما كانت تحطّم حدود الأقطار والأزمنة وتبسط له كلَّ النفوذ لولا شيءٌ واحد هو الحكمةُ. وكنزه ليس من الغلوّ في شيء أن نعدّ أبا الطيّب إمام الشعراء المفكّرين وهو الذي لم يَنفكَّ يمجِّد العقل ويحكّمه في كل شيء. العقلُ هو أنفسُ ما للفتى وكنزه الذي لا ينبغي الإنفاق منه إلا بمقدار :

وأنفسُ ما للفتى لُبّهُ وذو اللّبّ يكره إنفاقه

هذا هو الفرق بين الإنسان والحيوان .ولئن كانت هذه حقيقة بديهيّة تردّدت على ألسنة الناس فإنّ جريانها على لسان شاعر لِمِمّا يعطيها أبعادا خاصّة. وأبو الطيّب الذي تغنّى كثيرا بالحرب ومجّد الشجاعة باعتبارها صفة ملازمة كالموهبة والطبع لمَنْ تحلّى بها لا يراها فضيلة مستقلة بذاتها بل يُفضِّل عليها العقلَ ويُرجع له شرفُ الانتصار الذي يقرِّر مصيره قبل السيف والرمح.

جعفر ماجد. مجلّة الأقلام العراقيّة العدد4 السنة 13/1978 – ص ص 70–72

4- الحكمة

* الحكمة تعبير دقيق موجز عن تجربة من التجارب الإنسانية العامة يتضمّن تفسيرا لها وتصويرا لوقعها على النفس بحيث يدفعها إلى العِظَة والاعتبار، وهي مظهرٌ من مظاهر قوة النفس وبراعتها في استشفاف ما يعتمل بها إزاء موقف من المواقف المثيرة وقدرتها على تصوير وقع الحوادث عليها تصويرا صادقا وتعبير موحيا يتجاوب مع كل نفس بحيث تراه ترجمة عمَّا يراودها ويعتمل بها من آمال وتنفيساً عمَّا استبد بها من آلام ... وفي الحكمة جانب من جوانب العبقرية يتجلّى في قدرة الحكيم على جمع أطراف التجربة جمعا مستوي المعالم بحيث تبدو كقضية فكريّة سليمة المقدّمات مُسلّمة النتائج ... وقد وُفِق أبو الطيب في هذا المجال أيَّمَا توفيق حتى اشتهر بين النقاد ومؤرخي الأدب باسم المتنبي الحكيم ولعل هذا مبعث قول أبي الطيب حينما سئل عن نفسه وعن أبي تمام والبحتري : "أنا و أبو تمام حكيمان والشاعر البحتري"..

محمد عبد الرحمان شعيب. المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث دار المعارف بمصر. ص125

5- ما يخفيه الوصف في شعر المتنبي

يبدو لنا أنّ الأهمية الأولى للوصف في شعر المتنبّي – بل في عموم الشعر على ما نقدّر -أن يكون "أسلوبا" لا غرضا، وأنّه من العبث وممّا يوقع في الخطإ تبعا لهذا عزلُ مقاطعه عن سياقاتها وتحليلها مفردة : ولطالما عُزلت هذه المقاطع وأمثالُها فاستنتج الناسُ منها نتائج غريبة .ويبدو لنا ثانيا أنّ لأسلوب الوصف في شعر المتنبّي وظائفَ كبرى منها : تطويرُ المقدّمات ولوازم الأغراض ، وترشيحُ الصّور الشعرية القديمة، وإطالةُ نفس القصائد بإيجاد متنفّسات للشّاعر داخل ضغوط السنّة الشعريّة السائدة، وعرضُ المهارة الفنيّة، وبناءُ كوْن تمثيلي خاصّ لظروف قول خاصّة – ولا سيّما في المدح – ثم التعبيرُ عن أفكار ومواقفَ وعواطفَ عبر مشاهدَ تضطلع بدور الاستعارة أو الكناية الكبرى. ولقد كانت بغيتنا في ما قدّمنا أن نبيّن أنّ الشاعر إذ يصف فهو، في الغالب ليس همُّهُ الوصف، كما قد يُظنّ، وإنّما أمور أخرى ماثلة في خلفيّة الخطاب الوصفي بصورة لطيفة غائمة، وأنّه لا يهمّنا الوصف غرضا – في تحليل شعريّة الشعر – بقدر ما يهمّنا الوصف أسلوبا لأنّه أظهرُ لقدرة الشّاعر وأكثرُ إحالة على المعاني الثّواني للشّعر وتَنْبيها على أسراره وكوامنه، ولأنّه يوضّح لنا خصائصَ الوحدة والاتّصال في القصيدة ويهدينا إلى تبيّن الضّبابِ التعبيريّ الماثل في الشّعر : ذلك أنّ الشّعر يُظهر من نفسه أشياء يُلهي بها القارئ المتسرّع ويخلبه، ولكنّه يُبْطِن غيرها ممّا هو عادةً أهمّ وأبعد غورا لأنّ غائيّة الخطاب الشعري إنّما هي التأثير لا التصوير ولأنّ شعريّته العالية تُكْمُن في الدّلالة العامّة لأشكال المعاني أي بنية التّمثيل.

مبروك المناعي. الوصف في شعر المتنبي

من كتاب في أنماط النصوص الأبنية الفنية والتأويل سيراس للنشر تونس 2001 ص ص 46-47

النّصّ عدد10

لَيس كلّ ذوات المخلبِ السَّبُح

التمهيد

من أهمّ المعارك التي جرت بين سيف الدّولة والرّوم معركةُ خَرْشَنَةَ*(Charsianon) ومعركةُ الحدثِ الحمراءِ، ومعركةُ الدَّرْبِ،وقد سجّلها المتنبّي في شعره أروع تسجيل. أمّا معركةُ خرشنة فقد جرت سنة 950م (339هـ) وهي مزدوجة، وبدأت بفوز العرب على الروم ثمّ بفوز الروم على العرب. وقد اتّخذ الطرفان الحيلة طريقا إلى النصر؛ أمّا العرب فقد ساروا بجيش جرّار، وكمنوا في بَطْنِ قربَ اللُّقانِ بالقرب من خَرْشَنَةَ، وتقدّم سيف الدولة بِسِرِّيَّةٍ واحدة يريد الدمستق* وجيشَه، فحسِب الدمستق أنّ جيش العرب قليلُ العَدد والعُدّة فهاجمه بعسكره مهاجمة عنيفة، ولم يحسب للطوارئ حسابا، وفيما هو كذلك ثار عسكر العرب الكامن في كلّ مكان وانتفضت الأرضُ عن رجال وأسلحة ملأت الآفاق، وإذا الضربة هائلة، وإذا الروم في انحطام شديد، وإذا العرب على طريق العودة في نشوة أنستهم أنّ الروم جمعوا صفوفهم، وكمنوا لهم في طريق ضيّقة وانهالوا عليهم ضربا وتقتيلا، ففرّوا إلى بلادهم هاربين. فلمّا رجعوا مثقلين بالغنائم والأسرى، تبعَهُم العدوُّ منغّصا عليهم قفولهم، آخذا عليهم الطرق، حتّى كانت الهزيمة.. وقد كان الأمير يريد أن يمضي في الغزو، ولكنّ بعضَ أتباعه سَئِموا الحرب وأشفقوا من الإبعاد في الغزو، فطلبوا الرجوع إلى أوطانهم وألحّوا في ذلك، فاستمع لهم الأمير. ولمّا وصلوا إليها وقف المتنبّي مبوّقا ببوق الظفر، مشيدا ببطولة رجال أمير حلب، وراح يصف المعركة... ويخرج من الهزيمة الأخيرة بِنَصْرٍ معنويّ للأمير العربيّ.

طه حسين : مع المتنبي دار المعارف بمصر

وهذه القصيدة من البسيط ومطلعُها :

غَيْري بِأَكْثَر هذا الناس يَنْخَدِعُ ... إنْ قاتلوا جَبُنُوا أَوْ حَدَّثوا شَجُعوا

1 قُلْ للدُّمُسْتُق إنّ المُسْلمينَ(1) لَكُمْ ... خانوا الأميرَ فَجازاهُمْ بما صَنَعُوا
2 وَجَدْتُمُوهُمْ نِياما في دمائكُمُ ... كأنّ قتلاكُمُ إيّاهُمُ فَجَعُوا
3 ضَعْفَى تَعِفُّ الأيادي عن مِثالِهِمِ ... من الأعادي وإنْ هَمُّوا بِهِمْ نَزَعُوا
4 لا تحسَبُوا مَنْ أَسَرْتُمْ كان ذا رَمَقٍ ... فَلَيْسَ يأكُلُ إلاّ الميْتَةَ الضَّبُعُ
5 هَلاَّ على عَقِبِ الوادي وقد طلَعَتْ ... أُسْدٌ تَمُرّ فُرادى ليس تَجْتَمِعُ
6 تَشُقّكُم بفتاها كلُّ سَلْهَبَةٍ (2) ... والضَّرْبُ يأخذُ منكُم فوق ما يدَعُ
7 وإنّما عرّضَ اللّهُ الجنودَ بكم ... لَكَيْ يكونوا بِلا فَسْل(3) إذا رَجَعوا
8 فَكُلُّ غَزوٍ إليكُم بَعْدَ ذا فَلَهُ ... وكلّ غازٍ لسيف الدولةِ التَّبَعُ
9 يَمْشِي الكرامُ على آثار غيرهِمِ ... وأنتَ تخْلُقُ ما تأتي وتبْتَدِعُ
10 وَهَلْ يَشينُك وقتٌ كنتَ فارسَه ... وكان غيرك فيه العاجزُ الضَّرَعُ(4) ؟
11 مَنْ كان فوق مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعُه ... فليس يرفعُه شيءٌ ولا يَضَعُ
12 لم يُسْلِم الكرُّ في الأعْقاب مُهْجَتَهُ ... إنْ كان أسْلَمَهَا الأصحابُ والشِّيَعُ
13 لَيْتَ الملوكَ على الأقدار مُعْطِيَةٌ ... فلم يَكُنْ لِدَنيءٍ عندها طَمَعُ
14 رضِيتَ منْهُمْ بأن زُرْتَ الوَغَى فَرَأَوْا ... وأنْ قَرَعْتَ حَبِيكَ البيضِ(5) فاسْتَمَعُوا

15 لقد أباحكَ غِشّا في مُعاملةٍ ... مَنْ كُنْتَ منهُ بغيرِ الصِّدْقِ تَنْتَفِعُ
16 الدّهرُ مُعْتَذِرٌ والسَّيْفُ مُنْتَظِرٌ ... وأرضُهُمْ لَكَ مُصْطافٌ ومُرْتَبَعُ
17 وما الجبالُ لِنَصْرَانٍ بحامِيَةٍ ... ولو تَنَصَّرَ فيها الأعْصَمُ(6) الصَّدَع (7)
18 وما حَمِدْتُكَ في هَوْلٍ ثَبَتَّ لَهُ ... حتّى بَلَوْتُكَ والأبطالُ تَمْتَصِعُ(8)
19 فَقَدْ يُظَنُّ شجاعا مَنْ بِهِ خَرَقٌ(9) ... وقد يُظَنّ جبانا مَنْ به زَمَعُ (10)
20 إنّ السلاح جميعُ الناس تحملُه ... وليسَ كلُّ ذواتِ الْمِخْلَبِ السَّبُع

أبو الطيّب المتنبي. الديوان شرح العكبري الجزء 2
دار المعرفة بيروت لبنان ص 229

التعريف بالأعلام والأماكن

* خرشنة :(Charsianon) إقليم بين أرمينيا والبقلار. كانت مدينة ذاتَ قلعة حصينة جبليّة في جهات مَلَطْيَة(Mélitène).
* الدمستق : انظر النصوص السابقة.

الشرح

1) **المُسلَمين (بفتح اللاّم)** : اسم مفعول متّصل بفعل أسْلم، أي الذين أَسْلَمَهُمْ سيفُ الدولة للعدوّ.
2) **السَلْهَبَةُ** : من الخيل : مَا عَظُمَ وَطَالَ عِظَامُهُ.
3) **الفَسْل** : صفة مشبّهة متّصلة بفعل فسِلَ يفسَلُ أي كان ضعيفا لا مروءةَ له ولا جَلَد.
4) **الضَّرَع** : صفة مشبّهة متّصلة بفعل ضرِع يضْرَع فهو ضَرَعٌ أي صغير السنّ ضعيف أو جبان.
5) **حبيك البيض** : طرائق حديده، والحبيكةُ جمعها حُبُكٌ والمعنى المراد في البيت تكسّر كلّ شيء إذا مرّت عليه الريح كالرملة والماء. وتقرأ كلمةُ البيضِ على صورتين : الأولى بكسر الباء على أنّها جمع أَبْيَض وهي صفة للسيوف. والثانية بفتح الباء على أنّها جمع بَيْضَة وهي الخَوْذَة يجعلها المقاتل على رأسه.
6) **الأَعْصَم** : صفة مشبّهة يُوسم بها الوَعْل أو الظبيُ الذي في ذراعه بياض.
7) **الصَّدَع** : صفة مشبّهة تعني الفَتِيَّ الشابّ القويّ من الأوعال والظِّباء والإبل والحمُر.
8) **تمتصعُ** : تتضارب بالسيوف، والمُمَاصَعة : المقاتلة والمجالدة بالسيوف. تَمْتَصِعُ : تَهْرُبُ
8) **الخَرَق** : مصدر متّصل بفعل خرِق يخرَق. وهو الحُمْق، سوء التصرّف، ضعف الرأي.
9) **الزَّمَع** : مصدر متعلّق بفعل زمِع يَزمَع الرجل أي اعترته رعدة وهو يهمّ بأمر.

الفهم والتحليل

1– يمكن تقسيم القصيدة إلى قسمين أو إلى ثلاثة أقسام. هل لك أن توضّح ذلك وأن تعلّل كلاّ من التقسيمين ؟.
2– استخرج من النصّ قرائن تدلّ على اعتراف المتنبّي بهزيمة المسلمين واستخلص منها مشاعره إزاء هذه الهزيمة.
3– أجمل الشاعر في وصف الهزيمة ولم يفصّل. بم تفسّر ذلك ؟
4– سعى الشاعر إلى قلب الهزيمة إلى وعيد ثمّ إلى نصر قريب. وضّح خطّته في ذلك وحلّل الأساليب التي اعتمدها في بناء هذه الخطّة.
5– ادرس مستويات الإيقاع الوارد في صدر البيت السادسَ عشرَ وبيّن قيمته.

6- كيف هوّن الشاعر من هزيمة سيف الدولة ؟ وبِمَ عزّاه في ذلك ؟
7- ما القيم التي حوتها الحكمة في آخر القصيدة ؟ وكيف تفسّر اختتام الشاعر قصيدته على ذلك النحو ؟
8- قارن بين مطلع القصيدة وخاتمتها، ماذا تستنتج ؟

النقاش

- ما الأسباب التي ذكرها الشاعر لهزيمة جيش سيف الدولة ؟ هل تبدو وجيهة في نظرك ؟
- كيف يكون النقد الذاتيّ في الحروب حسب نظرك ؟ وما الهدف من هذا النقد ؟
- رفع الشاعر ممدوحه عن اللوم ونزّهه عن العار ولم يحمّله أيّ مسؤوليّة في الهزيمة، هل توافقه في ذلك؟ علّل جوابك.

بمناسبة هذا النصّ

الكتابة	من معاني الحماسة وصفُ الحرب ونتائجها على الطرفين المتقابليْن. اكتب نصّا تجمع فيه بعضا من هذه المعاني في حالتيْ الهزيمة والانتصار.
البحث	يذكر لنا التاريخ أنّه لم يَحُلْ الحَوْلُ حتّى نهض سيف الدولة لقتال الروم من جديد وظفر بهم وكاد يبلغ خرشنة لولا الثلجُ . وقد قال المتنبّي في هذه الوقعة قصيدتين. هل لك أن تبحث عنهما في الديوان ثمّ أن تعقد مقارنة بين هذه النصوص ؟
الإيقاع	انتخب بعض الأبيات التي تراها زاخرة بالوقع الشديد الصاعد وأنشدها بضروب التلوين الصّوتي والحركات المجسّمة.
الحكمة	تَتَبَّع الأبياتَ الّتي قامتْ على الحكمة في هذه القصيدة وتَبَيَّن علاقتها بالموضوع المطروح.

تنوير

الإطار التاريخي

بين سيف الدّولة والدُّمُسْتُق

قبل أن يدرك سيفُ الدّولة خرشنة مرّ في طريقه على مدينة سمندو (Tzamandos) وعَبرَ نَهْرَ آلِس (Halys) ونزل على مدينة ضَارِجة (Dharija) في أرض البقلار لإحراق رَبْضِها وكنائسها وأَرْبَاض خَرْشَنَة. وأعمل سيوفه هناك أيّاما ثمّ كرّ راجعا فحطّ رحاله في بطن (اللُّقَان) ففاجأه الدّمستق بجيش جرّار يقوده مائة وعشرون بطْريقا يرأسهم القائد (قسطنطين بارْداس) فتشتّت جيشُ العرب وظلّ سيف الدّولة يستنفرهم فلم يفلح، فلم يجد بدّا من التخلّص من أسراه الرّوم بالقتل.

فن الشعر عند المتنبّي

وصف المتنبّي لحروب سيف الدّولة

فإذا قرأت وصف المتنبّي لهذا الجهاد وجدت فيه نارًا تضطرم، ولا تكاد تمّس قلبَك حتّى تشيع فيه، وإذا قلبُك يضطرم أيضا حماسة ونشاطًا.

ومصدر هذا أنّ المتنبّي في هذا الوصف لم يكن يَصْدُر عن مدح سيف الدّولة والرّغبة في إرضائه وإثارة إعجابه بنفسه وإعجاب النّاس به، كما كان يفعل أبو تمّام والبحتري، وإنّما هو يَصْدُر عن هذا ويَصْدُر معه عمّا كان

يثور في نفسه من العواطف، وما كان يدور في رأسه من الخواطر حين كان يشهد الموقعةَ ويَتْبع العدوَّ منتصرا أو يُوَلِّي أمامه منهزما. وكان يصدر مع هذا وذاك عن انفعالات المسلمين التي كانت تثور حوله أثناء الاستعداد للحرب، وأثناء الاشتراك في المعركة، وبعد الانتصار أو الفرار...

فقد كان المتنبي يمدح سيف الدولة من غير شكٍّ بهذا الشعر، ولكنّه لم يكن يُصوِّر سيفَ الدولة وحدَه، وإنّما كان يصّور معه نفسَه، ويصوّر جماعةَ المسلمين المجاهدين، ويصوّر جماعة الروم أيضا.

ومن هنا نجد في وصف المتنبي لحروب سيف الدولة عند الثغور فُتُوَّة عربية اجتماعية، إن صَحَّ هذا الوصف، وترى هذه الفتوة العربية الاجتماعية تَشيع في وصف المتنبي حيّة قَوية مضطرمة شديدة الاضطراب.

طه حسين. مع المتنبي دار المعارف بمصر ص 174

فنّ الشعر

الشعر العربيّ القديم شعرُ اتّباع

* كان الشعر العربيّ القديم شعر اتّباع، وليس هذا بقادِح في قيمته أو واضعٍ من قدره وإنّما كان للاتّباع أثرهُ القويّ في وَسْمِ هذا الشعر بمَيْسَمٍ خاص طبع وظيفتَه بطابع خاص أيضا. فأَنْ يكون الشعر القديم شعر اتّباع يعني أن هذا الشعر يتأثّر بالنموذج أكثر ممّا يتأثّر بالتجريب والواقع. ومن هنا تسامي الشعرُ القديم عن الإخبار عن ذوات أصحابه ولم يتقيّد بالمحدود من تجاربهم ومِنْ خصائص عصورهم ونزع السامي المطّرد الذي اخترق عصور الماضي واستقام مثالا أهلا لأَنْ يقتدي به الشعراءُ. معنى هذا أنّ الشعر القديم قد اختار التعلّق بالباقي دون الفاني مَطِيّةً للعروج إلى الثابت باقيا من المعاني الشعريّة التي احتفل بطرقها. وأنْ يكون الشعرُ القديم شعر اتّباع يعني أيضا أنّ الشاعر ليس مطالبا بابتداع المعنى الشعري الذي يطرقه بقدرما كان مطالبا بتجويد العبارة عنه. وهذا يعني أنّ الشاعر لايخلق المعنى الشعري الذي يعبّر عنه. فمجالُ الإبداع لديه هو العبارةُ عن ذلك المعنى. وليس من شكّ في أنّ الشاعر يمكن له بل يستطاب منه كثيرا أن يبتدع معنى يكون من اختراعه، ولكن له أن يتناول ما طرقه الشعراء مرارا واختبروا عليه قدراتهم الإبداعيّة. وهنا يلتقي الشعرُ القديم مع خاصيّة من خاصيّات الإبداع الفنّي. فالفنّان مثلما هو اليوم شائعٌ لايخلق القيم التي يبني عليها فنّه وإنّما يستلهمها من سياق التاريخ. وليس لأيّ فرد أن يخلق قيما. وأنْ يكون الشعرُ القديم شعر اتّباع يعني أنّ التراث الشعري يتنامى دون أن تحدث فيه الهزّات التي تؤول إلى قطيعة بين حلقاته. وعندما بدأت بوادرُ القطيعة في الاتّضاح في القرن الثاني من جرّاء عوامل كثيرة وتحرّكت أكثر من طائفة فكريّة لردّ الإبداع إلى نصابه الاتّباعي بما في ذلك السلطةُ السياسيّة نفسُها تنامى إذنْ التراثُ في حركة هادئة من الإبداع التي ينضاف بعضها إلى بعض دون تأزّم أو صراع إلاّ ما نصادفه عند هذا الشاعر أو ذاك من تَبَاهٍ بأنّه قد جاء بما لم يسبق إليه.

حسين الواد. مدخل إلى الشعر المتنبي

دار الجنوب للنشر تونس 1991 ص ص 76 –77

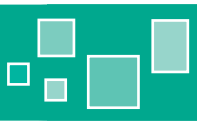

النّصّ عدد 11

قُبحًا لِوَجهِكَ يَا زَمَانُ

التمهيد

كان أبو شُجاع فاتِكا روميّا وأُسِرَ وربّي في فلسطين ثمّ اغتصبه كافور حاكمُ مِصْرَ من سيّده بالرَّمْلَةِ بلا ثمن فأعتقه صاحبُه فكان معه في عِدّة المماليك كريم النّفس حرّ الطّبع بعيد الهمّة. ويقول أبو العلاء المعرّي : إنّه كان في أيّام كافور مقيما بالفيُّوم أنفة من الأَسْوَدِ وحياء من النّاس أن يركب معه وأنّه مرض وأحوجته العلّة إلى الدّخول إلى مصر فدخلها وأنّ أبا الطيّب لم يتمكّن من عيادته، على أنّ فاتكا كان يسأل عنه ويراسله بالسّلام. ويقول ابن خِلِكّان : إنّ الفيّوم كان أقطاعا لفاتك وإنّ أبا الطيّب كان يسمع بكرمه وشجاعته ولا يستطيع أن يقصده خشية كافور. فلمّا بلغه خبرُ موته (350 هـ) قام يرثيه بقصيدة (من الكامل) مطلعها :

الحُزنُ يُقلِقُ وَالتَّجَمُّلُ يَرْدَعُ وَالدَّمْعُ بَينَهُما عَصِيٌّ طَيِّعُ

وهذه الأبيات تمثّل القسم الأخير منها.

1 قُبْحًا لِوَجهِكَ يا زَمانُ فَإِنَّهُ وَجهٌ لَهُ مِن كُلِّ قُبْحٍ بُرقُعُ(1)
2 أَيَموتُ مِثلُ أَبي شُجاعٍ فاتِكٍ وَيَعيشُ حاسِدُهُ(2) الخَصِيُّ الأَوْكَعُ(3) (...)
3 فَاليَومَ قَرَّ لِكُلِّ وَحْشٍ نافِرٍ دَمُهُ وَكانَ كَأَنَّهُ يَتَطَلَّعُ
4 وَتَصالَحَتْ ثَمَرُ السِّياطِ(4) وَخَيْلُهُ وَأَوَتْ إِلَيها(5) سُوقُها(6)) وَالأَذْرُعُ
5 وَعَفا الطِّرادُ(7) فَلا سِنانٌ راعِفٌ(8) فَوقَ القَناةِ وَلا حُسامٌ يَلمَعُ
6 وَلّى وَكُلُّ مُخالِمٍ(9) وَمُنادِمٍ بَعدَ اللُزومِ مُشَيِّعٌ وَمُوَدِّعُ
7 مَنْ كانَ فيهِ لِكُلِّ قَومٍ مَلْجَأً وَلِسَيْفِهِ في كُلِّ قَومٍ مَرْتَعُ(10)
8 إِنْ حَلَّ في فُرْسٍ فَفيها رَبُّها كِسرى* تَذِلُّ لَهُ الرِقابُ وَتَخضَعُ
9 أَوْ حَلَّ في روم فَفيها قَيصَرٌ* أَو حَلَّ في عُربٍ فَفيها تُبَّعُ*
10 قَد كانَ أَسرَعَ فارِسٍ في طَعْنَةٍ فَرَساً وَلَكِنَّ المَنِيَّةَ أَسْرَعُ
11 لا قَلَّبَتْ أَيْدِي الفَوارِسِ بَعدَهُ رُمْحاً وَلا حَمَلَتْ جَواداً أَربَعُ

أبو الطيب المتنبي. الديوان. شرح العكبري. ج 2 ص 275

التعريف بالأعلام والأماكن

* **كسرى** : ملك الفرس.
* قيصر : ملك الروم.
* تُبَّعُ : جاء في التفسير أن تُبَّعاً كان مَلِكاً من الملوك وكان مؤْمناً وأَنَّ قومه كانوا كافرين، وفي الحديث : لا تَسُبُّوا تُبَّعاً فإِنّه أَوّلُ من كَسا الكعبة ؛ قيل : هو مَلِكٌ في الزّمان الأَوّل اسْمه أَسْعَدُ أَبو كَرِب، وقيل : كان مَلِكُ اليمن لا يسُمَّى تُبَّعاً حتى يَمْلِكَ حَضْرَمَوْتَ وسَبأ وحِمْيَرَ.

الشرح

1) **بُرْقُع** : جمعه البَراقِعُ، تَلْبَسُها الدوابّ وتلبسها نساءُ الأَعراب، وفيه خَرْقان للعينين.
2) **حاسده** : المعني هو كافور الإخشيدي حاكم مصر آنذاك.
3) **الأَوْكَع** : الطّويل الأحمق أو اللئيم. تُستعمل غالبا للإماء اللّواتي يكدِدْن بالعمل.
4) **ثَمَرُ السِّيَاط** : العقد التي تكون في عذباتها.
5) **أوَتْ إليها** : رجعت وعادت.
6) **السُّوق** : جمع مفرده ساقٌ ويجمع على سِيقانٌ وأَسْوُقٌ.
7) **الطِّراد** : مطاردة الأقران والفرسان وطِرادُهم : هو أن يحْمِلَ بَعضهم على بعض في الحرب وغيرها. يقال : هم فرسان الطِّراد. والطِّرادُ : الرّمح القصير لأنّ صاحبه يُطارِدُ به.
8) **الرَّاعِف** : صفة متعلّقة بالفعل رعف أي سبق وتقدّم والرّواعف : الرّماحُ، صفة غالبة لها إمّا لتقدّمها للطَّعْن، وإمّا لِسَيَلانِ الدّم منها. والرَّعْفُ : سُرعة الطّعن.
9) **المُخَالِم** : الصديق الخالص. ويقال الخِلْمُ والجمع أَخْلاَمٌ وخُلَمَاءُ والمُخَالَمَةُ : المُصادقةُ.
10) **المَرْتَع** : إسم مكان متعلّق بالفعل رَتَعتِ الماشية تَرْتَعُ رُتوعًا، أي أكلت ما شاءت. والمعنى المقصود في البيت كان لسيفه مرتع في كلّ قوم من أعدائه..

الفهم والتحليل

1– البيت الأوّل قادح للأبيات التي تليه. هل لك أن توضّح ذلك مع التعليل ؟
2– ما وجه العداء القائم بين الشاعر والزّمان بوصفه قوّة غير منظورة ؟
3– يبدو الشاعر متألّما متأمّلا. وضّح ذلك من خلال الأساليب الفنية والمعاني الواردة في النصّ.
4– الموت والحياة ضديدان. ما الوسائل الفنّية التي وظّفها الشاعر لإبراز هذا المعنى ؟
5– رسم المتنبي للمرثي صورة شخصيّة، وضّحها وبيّن صلتها بفنّ الحماسة.
6– استخلص من النصّ – مَبْنًى ومَعْنًى ومغْنًى– الوشائج الحقيقيّة بين الراثي والمرثيّ.

النّقاش

- ختم الشاعر القصيدة بدعاء على غير المرثي من الفرسان بالقعود عن القتال. هل تراه موفّقا في ذلك ؟
- مزج الشاعر الرثاء الحماسيَّ بشيء من الهجاء مبرّرا ذلك. هل تسايره في ما ذهب إليه من تبرير والحال أنّ عصر الشاعر يحتاج إلى فرسان أفذاذ أمثال المرثي ؟

بمناسبة هذا النصّ

الكتابة	عُدْ إلى رثاء الخنساء لأخيها صَخْرٍ وقارن بين طريقتها في توليد المعاني الحماسية في فضاء المرثية وطريقة أبي الطيب المتنبي. اكتب نصّا في هذه المقارنة.
البحث	1– الرثاء بالجمع بين الأضداد فنّ بارز في النصّ. توسّع في بيان معانيه وأساليبه ومقاصده 2– قارن بين رثاء المتنبي أبا شجاع فاتكا في هذا النّص ورثاءِ أبي تمّام خالدا بن مزيد الشيباني واستخلص ما يمكن استخلاصه من جهة فَنّ الحماسة.
الإيقاع	أنشد الأبيات التي تتضمّن أسلوبا إنشائيّا بطريقة تتمايز عن الأبيات التي تتضمّن أسلوبا خبريّا. ماذا تلاحظ ؟

بمناسبة هذا النصّ

الحقل المعجميّ	استخرج معجمَيْ الحَرْبِ والفروسيّة الواردين في النص وقارنهما بما ورد في القصائد التي درستها سابقا.
الحقل الدلالي	انظر في معاني الأفعال قرّ/تصالح/عفا/ولّى. وبيّن منطق تتاليها في النصّ.
الصرف	صيغة التفضيل تنطوي دائما على شيء من التجريد أو قل إنّ التجريد هو أساسُها حتّى حين تخلو من معنى التفضيل وتكتسب المعنى المطلق للصفة على ما لاحظه النحاة. ولعلنا لا نخطئ إذا قلنا إنّ صيغة التفضيل تحتفظ في هذه الحالة بخاصيّة التجريد وإنْ خَلَتْ من دلالة التفضيل، ذلك أنّ التعبير عن صيغة التفضيل يقتضي تجريد الصفة من موصوفين أو أكثر لِتُمكِنَ الموازنةُ بينها. فحيثما عدل القائلُ عن الصفة المشبّهة إلى أفعل التفضيل كان المقصود إبعاد الوصف من المعنى المألوف أو المحسّ. **شكري محمد عيّاد**. صيغة التفضيل في شعر المتنبي "الأقلام" العراقيّة ع4 كانون الثاني س 13 صص 87–88

تنـــويـــر

فنّ الشعر عند المتنبي

1– رثاء ممدوحيه

* "فأمّا مراثيه في مَنْ كانوا من ممدوحيه ثمّ ماتوا فأبرزُها مراثيه في أبي شُجَاع فَاتِكٍ وكلُّها شجيّ جيّد، وهي من أقوى مراثيه دلالةً على وفائه وعِظَمِ نفسِه وعُلُوِّ أخلاقه وصدق عواطفه وجلال فنّه لأنّ أبا شُجاع كان قد توفّي والمتنبي خارجَ مصر".

مبروك المنّاعي.

أبو الطيّب المتنبي قلق الشعر ونشيد الدّهر. ط 1991 ص 93

2– من معاني الرثاء عند المتنبّي

* ومن معاني الرثاء عند المتنبي "تعديدُ مناقب الميّت ومآثر ماضيه وذكرُ هول الفراغ الذي تركه بعده كما قال في رثاء أبي شجاع".

المصدر السابق. ص 99

3– اللّغة عند المتنبّي

* إنّ قدرة المتنبي تتجلّى في أنّه تمكّن من أن يستخدم اللّغة استخداما فريدا. فيه من الاتّساع ما يُمكِّنه من التعبير عن أدقّ المعاني والأفكار، فتبدو للقارئ وكأنّها قريبة منه حين يبدو له أنّه يتحسّسها ولكنْ لايمكنه التعبير عنها بالقدرة والدّقة التي كفلها الشاعرُ. وما نقمة اللّغويّين عليه عندما أعلنوا خروجَه على اللّغة في كثير من المواضع إلاّ لأنّه تمكّن باقتدار يكاد يكون معجزا أنْ يشحَن الكلمات ليفجّر فيها طاقات جديدة للتعبير عن المعاني. وبذلك تمكّن من إثراء اللّغة، وهذا شأنُ العباقرة الذين ينهضون باللّغة ويفجّرون فيها طاقات كامنة ولايقفون عند حدود معيّنة لا يتجاوزونها فيساعدون على جمودها.

خلف رشيد نعمان.

تحقيق كتاب النظّام في شرح شعر المتنبي وأبي تمّام /بغداد 1989 ص 3

4- فنّ الشعر بين المدح والرثاء

* جاء في كتاب نقد الشعر لقُدامةَ بن جَعْفَر وتحديدا في فصل نَعْتِ المراثي : "إنَّه ليس بيْن المرثية والمَدْحِيّة فصلٌ إلاَّ أن يُذكر في اللفظ ما يدلُّ على أنّه لِهَالِكٍ، مثل : كان وتولَّى وقضى نَحبَه وما أشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لأنّ تأبين الميت إنّما هو بمثل ما كان يُمْدَحُ به في حياته، وقد يفعل في التأبين شيء ينفصل به لفظه عن لفظ المدح بغير كان وما جرى مجراها، وهو أن يكون الحيُّ وُصِفَ مثلاً بالجود، فلا يقال: كان جواداً ولكن بأن يقال : ذَهَب الجُود أوْ فَمَنْ للجود بَعْدَه ومثل : تولّى الجود وما أشبه هذه الأشياء".

نقد الشعر. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

في حومات القتال